

الأديب و المُفكّر الرَّاحِل رَمَضانَ عَبدِ الرَّحمنِ لَأوَنَد

خاطرة جريدة المساء

-110-

نحن في اليوم الثاني من أيام التشريق المقدّسة، ومن طبيعة التشريق أنّ كلّ منسك من مناسكها عملية تذكير بواجبات الحاج وحقوقه، والتذكير في جوهره جهد مبذول غايته إجراء جردة حساب يتمّ فيها استعراض الجوانب السلبية والإيجابية في حياة الإسلام والمسلمين.

والجدير بالذكر أنّ جردة الحساب لهذا الموسم من مواسم الحج السنوية تستقلّ بوضع خاص وتتميّز بخطة استثنائية ألزم العالم الإسلامي بها عن نفسه منذ أكثر من عامين حين قرّر الاستعداد للاحتفال ببداية القرن الخامس عشر لهجرة النبي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

صحيح أنّ أيام المسلمين متشابهة في مواصفاتها ومقوماتها وبواعثها، لكنّ المسلم حين يعلن عن عزمه على الاحتفال بيوم أو بعام أو بقرن من القرون فهو بهذا الإعلان يلزم نفسه لا أمام الدنيا وحسب، بل يلزم نفسه أمام الله أيضاً.

هذا الإعلان هو نذر مفروض يلتزم لمعناه وغرضه التزامه لكلّ الفروض الدينية، فهو لا يستطيع تجاهله لأنّه دين عليه يجب الوفاء به، وإذا كان الله عزّ وجلّ قد جعل من النذر ديناً مفروضاً على صاحبه، فلكي يقرّر حقيقة خلفية روحية هامة، خلاصتها أنّ التعهّد أمام الله بالقيام بعمل ودين هو أقدم أنواع التعهّد، لأنّ الله عزّ وجلّ هو أحد طرفيه إنّه ليكبر مقتناً عند الله أن يتعاقد المؤمن العابد ثمّ يخلو بواجبات هذا العقد المبرم. ومما يزيد من أهمية هذا التعاقد أنّ المسلمين يتذكّرونه ويردّدون الحديث عنه ويتبادلون المشورة بشأنه في يوم من أيام عبادة الحج.

وتساءل اليوم ودنيا البيت الحرام تضحّ بالمليّن العابدين، ماذا يعني الاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري؟ الجواب الذي يقرّره القلب المؤمن والعقل المستنير هو أنّ التعهّد بالاحتفال بدخول هذا القرن هو تعهّد بإعادة النظر في أحوال المسلمين إعادة جد لا هزل فيه وتصميم لا تهاون معه وعزيمة لا تلين أبداً.

العالم الإسلامي مغلوب على أمره، أعداؤه مجتمعون عليه سهامهم موجّهة نحوه والمؤامرات على سلامته تتعاقب وتتلاحق دون توقّف في القطاع العربي منه، وهو القطاع الأهمّ والأخطر في صنع مصيره، خلافات جعلت من حياة الناس فيه متاهات تضلّ فيها العيون، وتقوى فيها الأجساد، وتبهم بها طرق السلامة، يكفي أنّ هذا القطاع يواجه منذ أكثر من ثلاثين عاماً عدواناً لا سابقة له في التاريخ، إنّهُ العدوان الذي خطّط له وسخّرت لتنفيذه كلّ أساليب الخبث والخيانة للقضاء على معالم الإسلام في ربوعه وإفساد كلّ معانيه في القلوب. والصهيونية التي يتمثّل فيها هذا العدوان ليست رمزاً لاحتلال عابر ولا وسيلة لعمليات نهب وقتية، إنّها عدوان يقصد به استئصال شأن العروبة والإسلام بحيث لا تقوم لهما قائمة من بعد.

فماذا يعني الاستعداد للاحتفال ببداية القرن الخامس عشر الهجري إذا لم يكن مناسبة لإعلان الجهاد الشامل والكفاح المستند على التعبئة العامة؟ جهاد على كلّ صورة وفي كلّ ميدان وكفاح بكلّ وسيلة وكلّ سلاح؟ فلا وفاء لهذا النذر إلّا بهما معاً ولا مصالحة مع الله عزّ وجلّ إلّا بالتصميم على جعل دنيا العرب غير الدنيا والمصير غير المصير.